الخارجية المتمثلة في تدهور الوضع العربي الاقليمي وتراجع المواقف الدولية الكابحة لعمل هجومي اسرائيلي، ليُضعفا م.ت.ف. بواسطة عزلها، معنوياً وسياسياً، وليَخلقا الفرصة المؤاتية لضربها.

ان هذه الرؤية الدقيقة، والحساسة، لتعقيدات الوضع الفلسطيني، النظرية والعملية، تظهَر، مجدداً، عند مناقشة الخالدي للتحضيرات التي أجرتها م.ت.ف. قبل الحرب، ولسلوكها في اثنائها. فقد اتاحت هذه الرؤية للمؤلف ان يقدِّر ما قامت به القيادة الفلسطينية من سعي سياسي وتوضيع قوات وتخزين مؤن وذخائر وتأمين مقار قيادية بديلة وشبكات اتصال، خلال سنة سبقت حرب العام ١٩٨٢، تقديراً اكثر إيجابية من بعض التحليلات الاخرى. أو يمكن القول ان ما هو اهم من ذلك، هو ان معرفة المؤلف بالصعاب الجمة التي اضطرت القيادة الفلسطينية الى العمل خلالها، كفتور تأييد الحلفاء اللبنانيين («التقليديين» و «التقدميين») وضعف التسليح وهزال الدعم العربي، تجعله يرى في ما خاضته، وحققته، م.ت.ف. خلال صيف ١٩٨٢، إنجازاً حقيقياً. أي انه، في الوقت الذي يؤكد الخالدي ان هناك مجموعة ثغرات مزمنة في البنية العسكرية والتهيئة التعبوية لحركة المقاومة ساهمت في إضعاف الأداة المنفِّذة للسياسة الفلسطينية، وهي ثغرات تتحمل المسؤولية عنها مختلف المستويات القيادية داخل تلك الحركة، يرى، ويثمِّن، ما استطاعت قيادة م.ت.ف. ان تحققه من صمود، على الرغم من تلك المعطيات الصعبة. ويضيف ان تكريس الجهود، وتعبئة الطاقات بواسطة الحث المعنوي وتقديم المثل وتنظيم الصفوف لم يتما خلال الحصار وحسب، بل وسبقاه، في مجموعة إجراءات عملية، لولاها لما دام الصمود.

يتكوَّن، اذاً، انطباع اولي لدى القارئ، وان يمتنع الخالدي عن الخوض فيه، بأن القيادة الفلسطينية الفعلية، ونعني «فتح» أساساً، بالتشاور مع أقرب تنظيمين لها، الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (حسب المؤلف ـ ص ١٠٥)، اظهرت سمتين متناقضتين في آن: الاهمال النسبي لناحية الاعداد الذاتي، عسكرياً، وسياسياً، كما تدل، مثلاً، اشارة المؤلف الى عدم استيعاب تلك القيادة لحقيقة موقف الشارع اللبناني تجاه م.ت.ف. في فترة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢، ومدى خطورة الانفصام الناشئ؛ مقابل النشاطية العالية وروح المثابرة ويُعد النظر السياسي العام، وهي صفات برزت، بقوة، خلال اللحظات الحرجة.

نعود الى محتويات الكتاب.

يبدأ المؤلف باستعراض النتائج الرئيسة لحرب العام ١٩٨٢، مقيِّماً حجم الربح والخسارة بالنسبة الى الاطراف الاقليمية والدولية الاساسية؛ فيستنتج، اولاً، انه سوف يصعب على اسرائيل ان تلعب دور القوة العظمى في الشرق الاوسط، بعد ان وقفت عاجزة، لمدة شهرين، امام ابواب بيروت، وبعد ان اضطرتها المقاومة الوطنية في الشوف وجنوب لبنان الى الانسحاب نحو الحدود الدولية. ويؤكد الخالدي، ثانياً، ان الفلسطينيين كانوا من الخاسرين الاوائل، رغم ابدائهم لمقاومة بطولية وصمود طويل. فقد اضطرت م.ت.ف.، نهاية، الى اخلاء بيروت، ومن ثم تعرضت الى الشتات، والانشقاق، والنزاع المسلح مع سوريا والجماعات الفلسطينية التي تؤيدها الاخيرة. كما تعرض الفلسطينيون المقيمون في لبنان الى الذبح، والقهر، والاستبداد، الذي لم تمنعه الضمانات الرسمية اللبنانية والاسرائيلية والاميركية كافة. ولم يفلت لبنان، وأهله، من العواقب الوخيمة للاجتياح الاسرائيلي، بل كشف الانسحاب الفلسطيني حقيقة وجود صراعات داخلية، لا علاقة لها بالفلسطينيين، أدت الى أزمة اقتصادية كاسحة، وهجرة واسعة، وفلتان أمني شبه مطلق.

إلى هذا، لم تنج القوى الخارجية من الآثار السلبية للحرب؛ اذ وجدت الولايات المتحدة الاميركية نفسها تدعم الآلة العسكرية الاسرائيلية في هجومها الوحشي على لبنان، وتدعم، بعد ذلك، حكم الاقلية فيه، مما أحرجها سياسياً، ومعنوياً، في الساحتين، العربية والدولية. وقد اضطرت الولايات المتحدة الاميركية، نهاية، الى تقليص وجودها، ونفوذها، داخل لبنان، مشيرة الى انتهاء عهد التسلط المطلق في المنطقة (دون ان يعني ذلك انتهاء دورها او تدخلها). في المقابل، لم يتلق الاتحاد السوفياتي ضربة سياسية ـ معنوية كالتي اصابت الولايات المتحدة الاميركية، لكنه وجد نفسه متورطاً، بشكل مباشر، في الدفاع عن الاراضي